ألتوزيع ألاشتمالي للمسائل الصُّوصرفيَّة
(قراءة في الموروث الأندلسي)

الأستاذ الدكتور
عادل نذير بيري
الباحث
جعفر كاظم عبد
جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدِّمة :

يحاول هذا البحث دراسة الأصوات الداخلة على الأبنية ، والتي تتبادل فيما بينها ؛ فتكون في حال متفقة المعنى ، وفي أخرى مختلفة ، غيرَ أنَّ السمة الغالبة هي أنَّ الصوت الأول أكثر فسحةً من العنصر الثاني ، وهذه الآلية في الاستبدال تُعرَف بـ (التوزيع الاشتمالي) ؛ لاشتمال العنصر الأول على مزايا لا يشتمل عليها المستبدل منه ، ثم إنَّ هذا الاستبدال لا يمكن أن يحصل إلا من خلال وجود البنية ؛ ليكون التأثير (صوصرفيًّا) ، أي : صوت أثَّر في توجيه البنية ، وكان التَّتبُّع لهذه المسائل بحسب ما ورد في المصنف اللغوي الأندلسي ؛ لأنَّه بنظرنا رافد معطاء لا يقل قدراً عن التراث المشرقي ، وهذا ما نريد أن نتطرق إليه بهذه الصحائف ، التي جعلناها على مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة محاور ، وقائمة بالمصادر ، ومن الله السداد .

التمهيد : **مفهوم التوزيع الاشتمالي (أ + ب) (أ > ب) :**

التوزيع منهج سلكه البنيويون ، وخاصةً البنيويين الأمريكيين ، يتتبعون من خلاله كيفية توزيع العناصر ، أو الوحدات اللغوية (١) ؛ فجعلوه على أنواع ، ومنها التوزيع الاشتمالي ؛ إذ أدركوا أنَّ بعض المسائل اللغوية – ولاسيما المعجمية – تسلك مسلكًا رياضيًّا في توزيع وتحليل عناصرها عن طريق الاستبدال بين العناصر مع ورود أحدهما في مواقع أكبر من ورود العنصر الآخر(٢) .

وهذا التواشج يعني أنَّ كليهما يرجع إلى أصل واحد ، قوامه الجذر مع غلبة الثلاثي من الأسماء والأفعال على سواه ، وهذه الكثرة هي التي سوَّغت للدكتور أحمد المتوكل (آعتبار المفردات المصوغة على هذه الأوزان تشكل أبسط مفردات اللغة العربية معنًى ومبنًى)(٣).

إنَّ مصاديقَ هذا التوزيع تتمثل في توزيع عناصر البنية ، ولاسيما المصوتات القصيرة الموزعة في (الفاء ، والعين ، واللام) ، فالضمة ، والكسرة ، والفتحة ، يحصل بينهنَّ الآستبدال (أ + ب) في اللام تبعًا لنوعية العامل الداخل على البنية ، وإنَّ الفتحة (أ) تشغل مرتبةً أكبر لا تضاهيها حركة أخرى (أ > ب) ، وهذا ما عبَّرنا عنه بـ (أ + ب) (أ > ب) أي :

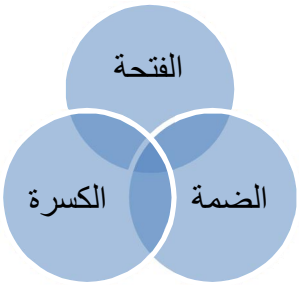

نرى في هذه المجموعات أنَّ كلَّ عنصر يشتمل على العناصر الباقية ، إلا أنَّ عنصرًا من هذه العناصر كان أبرز ، وأكثر فسحةً في الآستعمال إذاما وقع هذا التعاور في موضع اللام ؛ لأنَّ الفتحة ترد في مواضع لا ترد فيها الضمة والكسرة ، وكذلك في فاء البنية ، وعينها .

وما يؤيد هذا آطراد الأبنية المفتوحة الفاء أو العين ، وكثرة عددها حتى عُدَّت بعض الأبنية المشتملة على الضمة ، والكسرة من الشاذ مثل (فُعِل) ؛ فمتى حصل الآستبدال بين الضمة والكسرة ، ولَّدَ لنا بنيةً شاذةً مثل (دُئِل) ، و(رُئِم) ، وهذا ما تهرَّبَ منه اللغويون بضمِّ هذه الأوزان إلى صنف الأفعال ، لا الأسماء (٤).

إنَّ الاستبدال بين الصوائت (قصيرة – طويلة) ، أو الصوامت يجب أن يكون نابعًا من أسباب تؤهل ذلك ، وإنَّ عدم الإحاطة بهذه الأمور توجد لنا ما يصطلح عليه اللغويون بـ (اللَّحن الجلي ، واللَّحن الخفي) ، والجلي : أنْ يتبين خروج المتكلم

بشكل جليٍّ عن قواعد اللغة ، يعرفه الحاذق ، وغير المتمرس ، و هو خفيٌّ ريثما خفِيَ على غير

المتمرس ؛ لأنَّ معرفته تحتاج إلى دربة ، وممارسة ؛ فهو لحن عند الحذاق ، وغير لحنٍ لدى السذج لوهمهم الصحة فيه (٥) .

وكثيراً ما يعرض اللحن الخفي في مفردات اللغة في حال ال‌آستبدال بواسطة المغايرة الصوتية ، بيد أنَّ هذه المغايرة تخضع لقوانين توجب على الصوت أن يتغير ؛ إذ (يرتبط توزيع الأصوات داخل الكلمة الواحدة بانسجام هذه الأصوات ، وتآلفها بمقتضى مقاييس هذا ال‌آنسجام في أذهان أبناء الجماعة اللغوية)(٦).

والذي نلحظه في كلٍّ من هذا أنَّ التوجيه لهذا الصوت لا يمكن له أن يحصل ، إلا من خلال وجوده داخل البنية ؛ فهو المؤثر في البنية شكلًا ودلالةً ، ولوجود هذه القرابة بين الصوت والأبنية الصرفية ،اصطلح عليها حديثًا بـ (التغيرات الصرفصوتية morphophonemics changes) (٧) ، ولغلبة تأثير الصوت على البنية اصطلحنا على هذه العلاقة بـ (الصُّوصرفيَّة) .

ومن هذه الأصوات التي تعرضت التوزيع هي :

١- الأصوات المنطبقة (الضاد والظاء) :

يتعرض هذان الصوتان إلى هذا النوع من التوزيع ؛ فقد ٱهتم القدماء بهما ؛ إذ قد تُستبدَل الضاد مع الظاء ، أو بالعكس ، وذلك مثل((حَظِلَتِ النَّخلة وحَضِلَت : إذا فسدت أصول سعفها ، وسَمعت ظباظب الإبل ، وضباضبها : يعني أصواتها وجلبتها))(٨) ، وكذلك نحو :((إظانٌ : اسم مكان بظاء معجمة عن أبي عمرٍو الشيباني ، وبمهملةٍ عن ٱبن الأعرابي ، وبضاد معجمة عن ٱبن سيده ، وٱجلَنْظى الرجل ، بالأحرف الثلاثة أيضًا إذا ٱضطجع واضعَ رجلٍ على رجل ، وكذلك ذَهَبَ دمُهُ بِضْرًا ، وبِطْرًا ، وبِظْرًا ، أي : هَدْرًا)) (٩) .

ثم إنَّ هذين الصوتين قد يفوق أحدهما صفةً ومخرجًا على الآخر ، وقد يغلب ٱستعمالهما بكثرة في لغة العرب ، وٱنحسارهما في اللغات الباقية بحسب ما يراه (مكي القيسي ٤٣٧هـ) (١٠) .

وقد جاء وصفهم لهما بأنَّ ((من بين أوَّلِ حافَّةِ اللسان ، وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ...، وما بين طرف اللسان في أطراف الثنايا مخرج الظاء))(١١) ، وهذا ما أشار إليه (آبن مالك٦٧٢هـ) بقوله (١٢) :

والضَّـــادُ أوَّلُ العَـــضِّ بالأَســـنانِ والظَّـــاءُ لَعَـــظٌ الحـــربِ ، والزمـــان

وقد يغلب أحدهما على الآخر بالصفة ، أو بامتلاكه أكثر من صفة مع قصور الآخر ، وهذا التخمين واردٌ في كتاب الرعاية ، بأنَّه ((ربما آجتمع للحروف صفتان ، وثلاث ، وأكثر ؛ فالحروف تشترك في بعض الصفات ، وتفترق في بعض ، والمخرج واحد ، وتتفق في بعض الصفات والمخرج مختلف ، ولا تجد أحرفًا آتفقت في الصفات والمخرج واحد ؛ لأنَّ ذلك يوجب آشتراكها في السمع ؛ فتصير بلفظ واحد ؛ فلا يفهم الخطاب منها))(١٣) .

وهذان الصوتان (الضاد والظاء) من الأصوات التي اختلفت في الصفات والمخرج ؛ لأنَّ ((الضاد تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم ، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ، وهو حرفٌ قوي ؛ لأنَّه مجهور مطبق ، من حروف الاستعلاء ، وفيه استطالة))(١٤).

وهذا الصوت يشغل مرتبةً أكبر من الظاء على الرغم من وجود الشبه ((للفظ الظاء ؛ لأنَّها من حروف الإطباق ، ومن الحروف المستعلية ، ومن الحروف المجهورة ، ولولا آختلاف المخرجين ، وما في الضاد من الآستطالة ؛ لكان لفظهما واحدًا ، ولم يختلفا في السمع))(١٥) ، وهذا يعني أنَّ هذين الحرفين يقبلان الآستبدال فيما بينهما (ض+ ظ) ، غير أنَّ الضاد له من الوسع ما لا يكون في الظاء (ض> ظ) ، وهذا متأتٍّ من الآستطالة التي فيها ؛ لذا ((سمِّيَت بذلك ؛ لأنَّها آستطالت حتى آتصلت بمخرج اللام)) (١٦) ، ما جعل بعض العلماء يصفونه بـ (المتفشي) ؛ فـ ((قد ذكر بعض العلماء (الضاد) مع (الشين) ، وقال : الشين تتفشَّى في الفم حتى تتصل بمخرج الظاء ، والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام ، وسمي هذان الحرفان : المُخَالِطَينِ ؛ لأنَّهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان))(١٧) .

ولا أعتقد أنَّ الصحيح وصفُ (الضاد) بالمتفشي على أساس هذه المقاربة ؛ لأنَّ طريقة ذوق الحروف تنفي ذلك ؛ لأنَّنا نسمع ترجيعًا لصوت (الشين) أطول وأوضح مما هو في (الضاد) ، ثم إنَّ الإطباق في (الضاد) يرغمها على أن تتخلى عن هذه الصفة .

إنَّ هذا الاختلاف بين (الضاد والظاء) يتبعه اختلاف في المعنى كذلك إنِ استبدلا ، وهذا ما أشار اليه (ابن مالك ٦٧٢هـ) بأُرجوزته التي حوت ((ما يقال بالضاد ؛ فيدلُّ على معنًى ، ويقال بالظاء ؛ فيدلُّ على غير ذلك المعنى ، والوزن واحد))(١٨).

والتَّتبُّع لهذين الصوتين يوضح لنا كثرة المفردات الواردة بالضاد على المفردات الواردة بالظاء ، وهذا ما يوضح لنا التوزيع الاشتمالي لهما .

٢- الصوت اللثوي والشفوي (الثاء والفاء):

يحصل الاستبدال بين هذه الأصوات ؛ فيقولون في ثلاثة : فلافة ، ويعدُّه (القرطبي ٤٦١هـ) لحنًا خفيًا ؛ لأنَّه لا يقول : فلافة إلا اللاثغ ، وبخصوص ما ذكره أهل اللغة من ألفاظ ؛ فهي عنده قليل لا يعتد بها من ذلك : جَدَثَ وجَدَفَ ، وثوم وفوم (١٩) .

الملاحظ أنَّ الاستبدال قد حصل بين (ث + ف) مع أنَّ (ث > ف) ، أي : غلبة الثاء على الفاء ، ولوجود الفارق في الصفة والمخرج عدَّ لحنًا ، ثم إذا كان فهم (القرطبي٤٦١هـ) للفوم على أنَّه الثوم ؛ فإنَّ دلالة (الفوم) محل خلاف ، ولا سيما ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ (٢٠) ؛ فقد نقل لنا(مكي القيسي ٤٣٧هـ) هذا بأنه فُسِّرَ بالخبز ، أو ما يُختبز من الحبوب ، وقيل : هو الثوم ، وفي رواية يشمل كلَّ الحبوب كالقمح والعدس وغيرها ، وأخيرًا يرجح القول بالثوم ؛ لأنَّ العرب تبدل الثاءَ فاءً (٢١) .

وهذا الخلاف نفسه لدى (ابن عطية ٥٤٦هـ) ، معتقدًا أنَّ الصحيح هو الحنطة ، واصفًا الاستبدال بأنَّه مما لا يقاس عليه ، شافعًا رأيه ببيت من الشعر(٢٢) .

قد كُنْتُ أغنَى النَّاسِ شخصًا واجدًا ورْدَ المدينـــةِ عـــن زرَاعَـــةِ فـــومِ

والفوم هنا : الحنطة (٢٣) .

وأمَّا (القرطبي ٦٧١هـ) ؛ فيذهب إلى أنَّه الثوم ؛ لمشاكلته البصل ؛ ولأنَّ العرب تبدل الثاءَ فاءً ، وهذا ما يرتضيه الكسائي والفراء ، وقيل : هو الحنطة ، مختارًا ذلك النحاس وأبو إسحاق الزجاج الذي رأى أنَّ (البر) الحنطة أصل الغذاء ، وهو من متطلباته ، وتابعهم على هذا الأخفش وابن دريد ، وفي رواية الحِمَّص ، أو ما يختبز من الحب (٢٤) .

وإذا كان في دلالة هذه المفردة محل خلاف ؛ فإنَّ الدرس الحديث يثبت أنَّه ليس لحنًا ، وكلُّ ما في الأمر تطور صوتي للثاء ، وهذا ما فسَّر به الدكتور رمضان عبد التواب القلب الوارد في الآية السابقة متسائلًا (هل أصل الكلمة في العربية بالثاء أم بالفاء ؟ ، إنَّ في معرفتنا باللغات السامية الإجابة على ذلك ؛ فإنَّ الشين العبرية التي تقابل تاء في الآرامية تقابل ثاءً في العربية ، وتلك قاعدة مطردة في مقارنات أصوات اللغات السامية ؛ فمثلًا كلمة (شُورْ) ōšr في العبرية تقابل (تَوْرَا)tawrá في الآرامية ، وتقابل كلمة (ثَوْر) في العربية ، وكذلك كلمة (شُوم) šūm في العبرية هي (توما) tammā في الآرامية ، وثوم في العربية ، ومعنى هذا أنَّ أصل هذه الكلمة في العربية بالثاء ، وأما الفاء ، فهي تطورعنها)(٢٥) .

فإذا كان في استبدال الفاء من الثاء تطور صوتي ، فإنَّ هذا التطور يصاحبه تغيير دلالي ، وهذا ما يبرر (للقرطبي٤٦١هـ) القول : باللحن الخفي لمن استعمل الفاء بدلًا من الثاء والمعنى واحد ؛ لأنَّ لكل مفردة معنًى خاصًا بذلك ، وهذا ما أثبته (ابن سيده ٤٥٨هـ) أنَّ ((الجدث : القبر ، والجمع : أجداث))(٢٦) ،ثم يذكر هذا الاستبدال ((وقد قالوا : جَدَفَ ؛ فالفاء بدل من الثاء ؛ لأنَّهم قد أجمعوا في الجمع على أجداث ، ولم يقولوا : أجداف ، وأجدُث : موضعٌ قال المتنخل (٢٧) :

عرفـــتُ بأجـــدُثٍ فنعـــاف عِـــرق علامـــــاتٍ كتحـــــبير النِّمـــــاط

وقد نفى سيبويه أن يكون (أفعُل) من أبنية الواحد ؛ فيجب أن يعدَّ هذا فيما فاته من أبنية كلام العرب ، إلَّا أن يكون جمع الجدث الذي هو القبر على أجدُث ، ثم سمى به الموضع ، ويروى :(أجدُف) بالفاء))(٢٨).

والتأمل في هذا الكلام يوحي لنا أنَّ الرواية بالفاء ضعيفة لا يعتدُّ بها ، بدليل رفض الجمع على (أجداف) ، ثم المعنى المعجمي لـ (الجدف) يختلف تمامًا عن الجدث ، وهذا ما ذُكِر في المعجم ((جدف الطائر يجدف جدوفًا : إذا

كان مقصوص الجناحين ؛ فرأيته إذا طار كأنَّه يردُّهما إلى خلفه ، وقيل : هو أن يكسِر من جناحه شيئًا ، ثم يميل عند الفَرَقِ من الصقر...))(٢٩) .

إذًا من حق القرطبي أن يصف هذا الاستبدال باللحن الخفي ؛ لأنَّ أغلب المفردات التي ورد فيها القلب بين الثاء والفاء يتبع ذلك تغيير في المعنى ، والقول بعدم ذلك مرفوض ، وعلى هذا يمكن أن ننظر إلى من يعد(ث + ف) على أنها ليست كذلك بل (ث > ف) .

٣- الصوت الهوائي والشجري (الياء والجيم) :

لا يقتصر الاستبدال على العناصر الصامتة ، وإنما قد يحصل بين المصوت والصامت ؛ إذ تستبدل الجيم من الياء ، كما استبدلت الجيم من الكاف على الرغم من كون (ي > ج) في الاستعمال اللغوي الفصيح ، وهذا يحصل في حال الوقف ؛ إذ ذكر (القرطبي ٤٠١هـ) أنَّهم ((قالوا في الياء في الوقف : سَعْدِج ، يريدون : سَعْدِي ؛ فإنما ذكرت لك هذا ؛ لِتعلمَ أنَّهم قد يطلبون إيضاحها بنحو من هذا الذي ذكرت لك ، يقول : إنَّ حروف اللين خفية ؛ فيطلبون إيضاحها بإنْ ، ويقولون في الرفع : أزيدإنيه في الرفع ، وأزيدًا إنيه ...، كما يطلبون إيضاح الهاء التي هي في الخفاء كالياء بالحركة في قولهم في الوقف : اضربُه ، وكما يطلبون إيضاحها الياء بالجيم في الوقف في نحو : عليّ وعرباني ؛ فيقولون : عَلِج وعربانج ...)) (٣٠) .

نجد أنَّهم استبدلوا الجيم من الياء (ي + ج) ؛ لأنَّ الجيم أوضح من الياء ، بيد أنَّه اضطراريٌّ في هذا الموضع ، وأنَّه لا يقاس عليه لدى جلِّ العلماء ؛ لأنَّ(ي > ج) ، خلافًا لما ذهب إليه (ابن عصفور٦٦٩هـ) الذي رأى أنَّ هذا الصوت يستبدل ((من

الياء لاغير إذا كانت مشددةً باطراد ، متطرفةً كانت أو غير متطرفة ، قالوا : فقيمج ، ومُرج ، أي : فقيمي ، ومري))(٣١) ، ومثله على هذا (ابن مالك٦٧٢هـ) أنْ جعله مطرداً في كلام العرب (٣٢) .

إنَّ المسوغ لهذا الاستبدال هو وجود التقارب الصوتي بين هذه الأصوات ؛ لأنَّ ((مخرجهن من وسط اللسان ، وما يليه من الحنك)) (٣٣) ؛ لأنَّ الياء صوت هوائي ؛ لهويه في الفم(٣٤) ، وأما الجيم ؛فهو صوت شجري يشاطر (الشين) على هذا ؛ فقد ((سمَّاهنَّ الخليل بذلك ؛ لأنَّه نسبهنَّ إلى الموضع الذي يخرجن منه ، وهو مفرج الفم ، قال الخليل : الشجر : مفرج الفم ، أي : مفتحه ، وقال غيره : الشجر : مجتمع اللحيين عند العُنْفُقَة))(٣٥) .

ومع هذا نلحظ أنَّ الجيم لا توازي الياء في الاستعمال ؛ لأنَّ الياء إطالة للكسرة وهي حركة لا تتغافل عنها البنية ، وأنَّ الجيم صوت صامت جيء به في هذا الموضع لعلةٍ اضطرَّ إليها .

٤- الأصوات الشفوية (الميم والباء) :

حصل الاستبدال بين الأصوات الشفوية ، وهذا ما نقله (أبوعلي القالي٣٥٦هـ) يقول ((اللحياني : أتانا وما عليه طِحْرِبَة ولا طِحْرِمَة ، أي : خِرْقة ، وكذلك يقال : ما في السماء طِحْرِبَة ولا طِحْرِمَة ، أي : لطخ من غيم ...، وكان أبو سرَّار الغنوي يقول : بااسمك ، يريد : ماسمك ؟، وقال : ظليمٌ أربد وأرمد ، وهو لون إلى الغبرة، وقال يعقوب ابن السكيت قال بعضهم : ليس هذا من الإبدال ، ومعنى أرمد يشبه لون الرماد))(٣٦) .

نلحظ أنَّ الاستبدال حاصل بين (م+ب) بشرط أن لا يؤدي إلى تغيير في المعنى ؛ لهذا اعترضوا على أرمد أن استبدلت من أربد لوجود تغيير في الدلالة ، أما إذا لم يؤدِّ إلى تغيير في الدلالة فهذا من باب اللحن ، وهذا ما لحَّنَ فيه (الزبيدي ٣٧٩هـ) العامة القائلين : (فانبضْهَا) بدلًا من (فانمضْها) بمعنى نَتْفِ شعر اللحية ، وأصل فعله :(نَمَضَ)(٣٧) .

إذًا نجد أنَّ الميم تمتاز بصفة لا تمتاز بها الباء ، ولا سيما أنَّ (البكري ٤٨٧هـ) وصف ما عليه نطق العرب من البوادي ((أنَّ الميم شيء ضيق))(٣٨) ، وهذا يعني أنَّ (م > ب) ، وأنَّ القول بالاستبدال لا أظنُّ أنَّه من الفصاحة ؛ لأنَّه لا يوجد من الفصحاء من يقول :(بااسمك) قاصدًا (مااسمك) ، وانما هو لحن ، ومن ثم إذا كان اللغويون قد أثبتوا وقوع هذا في العربية ؛ فإنَّ كلَّ واحدة مختلفة دلاليًا عن الأخرى ، وهذا واضح من خلال تعليق المفسرين على مفردة (بكة) في الآية الكريمة ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٣٩) ، ولم ترد (مكة) في هذا الموضع ؛ لوجود الفارق بين المفردتين ؛ إذ فُسِّرَت (بكة) بالمكان المزدحم بطواف الناس حول البيت ، وما خارجه (مكة) ، وقيل : مكة أوسع من بكة ؛ فهي الحرم كله ، وأما البيت أو المسجد فبكة ، وقيل : بكة موضع البيت وما سواه من المواضع فهو مكة ، أو لأنَّها تبكُّ أعناق الجبابرة ، ومكة من الملك إخراج المخ من العظم ؛ لأنَّها تمكُّ ما يحتاج إليه الإنسان(٤٠) ، أو لأنَّها ((سميت بذلك لقلة مائها ، وذلك لأنهم كانوا يمتكون الماء فيها ، أي : يستخرجونه)) (٤١) .

ومع وجود الفارق الدلالي بين المفردتين ؛ فإنَّ بعضهم لا يفرق ؛ إذ ((قال الضحاك وجماعة من العلماء : بكة هي مكة ؛ فكأنَّ هذا من إبدال الباء بالميم على لغة مازن وغيرهم)) (٤٢) .

ومثل هذا ما نقله (القرطبي ٦٧١هـ) لِما قاله ((مجاهد : بكة هي مكة ؛ فالميم على هذا مبدلة من الباء ، كما قالوا : طينٌ لازب ولازم)) (٤٣) .

وأظن أنَّ الآراء السابقة هي مظنة الصواب ، ولا أساس لما ذهب إليه (الضحاك) أو (مجاهد) أنَّ (بكة) هي (مكة) ثم إنَّ المعنى الدلالي لـ (مكة) أعمق مما هو في (بكة) ، وهذا ما أضافه صوت الميم الذي يتسم بالشدة خلافًا لصوت الباء ، وهذا يعني أنَّ (م > ب) ، وإنَّ القول باستبدال الباء من الميم والمعنى واحد ما هو الا لحن لدى بعض الناس ، ولا يصح اعتباره فصيحًا لندرته .

٥- الأصوات الحلقية (العين والحاء) :

وُصِفَ هذان الصوتان بأنَّهما حلقيان ؛ لأنَّ ((مخرجهما من وسط الحلق)) (٤٤) ، ولوجود التقارب الصوتي بينهما حصل الاستبدال في بعض المفردات ، وهذا ما رواه (القالي ٣٥٦هـ) لما قاله ((أبو عبيدة يقال ضَبَعَت الخيل وضَبَحَت سواء ، وقال بعضهم : ضَبَحَت بمنزلة نَحَمت ، كذا حكى عنه يعقوب ، وقال الأصمعي : إنَّه لَعفضاج وحِفْضاج إذا تفتَّقَ وكثر لحمه ...، ويقال : بحثروا متاعهم وبعثروه أي : فرَّقوه ...، والوعا والوحا : الصوت ، ويقال : سمعت وعاهم ، ووحاهم)) (٤٥) .

ونلحظ أنَّ الألفاظ التي وردت بالعين هي الأصل ، وأنَّ ما وردت فيها (الحاء) مع ثبات الدلالة ما هو إلا لحن ؛ لأنَّ القرابة الصوتية هي التي دعت إلى هذا الوهم ؛ فنجد في (العين) ترديداً صوتيًا أبلغ مما هو في (الحاء) ؛ إذ ((تصل إلى الترديد فيها ؛ لشبهها بالحاء ، كأنَّ صوتها ينسل اليها)) (٤٦) ، وهذا الانسلال هو الذي أدى إلى هذا .

وقد يجوز أن يؤتى بالحاء بدلًا من العين ، وذلك ((إذا اجتمعت مع الحاء ؛ فإذا تقدمت عليها كنت بالخيار ، إنْ شئت أدغمت ؛ فقلبت العين حاءً نحو : اقطَعْ حملًا، وإن شئت لم تدغم)) (٤٧) ، وهنا تكون (العين) أغلب من الحاء ؛ لأنَّ العين متقدمة على الحاء ، ((وإن تقدمت الحاء فالبيان ، ولا يجوز الإدغام الا أن تقلب العين حاء ، وتدغم الحاء في الحاء ؛ فتقول : امدحّتبه ، تريد : امدحْ عُتبه)) (٤٨) .

وهنا لا يمكن أن نقبل بهذا ؛ لأنَّ (امدحتبه) غير مفهوم اطلاقًا لدى المتلقي ، وأنَّ البنية ستكون جامعةً لثلاثة أصوات متقاربات في الصفات (الحاء مع الحاء ، ثم التاء) ، وهذا ما يجعل اللسان ينطلق بسرعة ؛ بسبب وجود الهمس من دون فاصل ؛ فكان الواجب العدول إلى ما هو أقوى منه وهو العين ، وذلك بعد إسقاطه والضغط عليه .

يمكن أن نقول : إنَّ للعين مزية أوسع مما هي لدى الحاء ، وهذا متحصل من خلال الصفة التي يتحلى بها هذا الصوت (العين) ما لا يوجد في (الحاء) ، وهذا ما لا يسمح لصوت الحاء أن تستبدل من (العين) إلَّا في مواضع معينة .

الخاتمة :

١. التوزيع الاشتمالي آلية تقوم على جواز الاستبدال بين العنصرين ، إلا أنَّ الأول أكثر فسحةً من العنصر الثاني ، وهذا الاستبدال خاضع لقوانين اللغة ، ومخالفتها تخرج إلى ما يسمى باللحن الجلي ، واللحن الخفي ، ثم إنَّ هذا النوع من التوزيع له جذوره في التراث العربي ، إلا أنَّ القدماء لم يصطلحوا عليه المصطلح الحديث

٢. العلاقة بين المستويين : الصوتي والصرفي وثيقة ؛ فلا يمكن للعناصر الصوتية أن تتحقق من دون وجود بنية صرفية ، كما أنَّ البنية تتأثر بهذه العناصر ؛ فهي علاقة (صوصرفية) ، وقد وقرت في أذهان القدماء قبل المحدثين .

٣. يجوز للصوت الأول أن يستبدل من الصوت الثاني ، غير أنَّ الثاني لا يجوز له أن يحلَّ محل الصوت الأول ، كما في الضاد والظاء ؛ لأنَّ للضاد مزايا لا تتوفر في الظاء ، ولاسيما البروز والقوة الصوتية ، وتواجدها في المفردات أكثر من تواجد الظاء .

٤. حصول الاستبدال بين الثاء والفاء مع غلبة الثاء على الفاء ، وإن كانت ترد في مواضع الثاء ، إلا أنَّ الضعف الذي فيها مقارنةً مع الثاء قد يخرج بهذا الاستبدال إلى اللحن الخفي .

٥. استبدال الصوت الشجري من الهوائي يكون ؛ لأجل إزالة الخفاء وعدم الوضوح في الصوت الهوائي ، وهو استبدال مطرد لدى (ابن عصفور ٦٦٩هـ) و(ابن مالك٦٧٢هـ) ، مخالفين من يعده شاذًّا .

٦. لصوت الميم شدة ، ودخولها في البنية تعطي لها دلالة معينة ، كما يتغير المعنى كذلك إذا استبدلت منها الباء ، وقبول الاستبدال بين هذين الصوتين نادر جدًّا.

٧. لصوت العين ترديد صوتي أبلغ مما هو في الحاء ، على الرغم من كونهما حلقيين ، إلا أنَّ ما تمتاز به العين أوسع مما في الحاء ، ما لا يسمح لها أن تحل محلها في بعض المواضع .

Abstract

This research is trying to study the internal voice of structures which are can be replaced by them in this case they agreement in the meaning and others are different but generally the first voice is wider than second principle this system of replacement is known (total distribution) the significant and character of the first principle isn't contain the replacement unit then this replacement can't be find in the structure to be impact (morpheme) which is influenced by the structure destination and the tracked of this affairs are mentioned in the Andalusian linguistic assorted because they are so generous in our point of view not less than from eastern heritage and this will be pointed in this research which have made in production preface and five parts and a list of resource successful is from Allah

هوامش البحث

١- ينظر نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : د. نهاد الموسى : ٢٤ – ٣٢ ، والمصطلحات المفاتيح في اللسانيات ماريو نوال : ٢٧ .

٢- الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الاوربية ، محمود أحمد نحلة : ٢٣ .

٣- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري د. أحمد المتوكل : ١٤١ .

٤- ينظر الاقتضاب في أدب الكتاب ، لأبي محمد عبد الله محمد بن السيد البطليوسي : ٢ / ٣٢٣ .

٥- ينظر الموضح في التجويد ، الشيخ الإمام أبي القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري القرطبي المغربي : ١٢ .

٦- اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ، د. سمير شريف استيتية : ٩٠ .

٧- دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية ، د. عبد المقصود : ٢٥٠ .

٨- الفرق بين الحروف الخمسة ، لابن السيد البطليوسي : ١٨٦ .

٩- الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد ، لجمال الدين ابن مالك : ٩٩ .

١٠- ينظر الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، لأبي محمد مكي ابن أبي طالب القيسي : ١١٣ .

١١- كتاب الواضح في علم العربية ، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي : ٢٨١ – ٢٨٢.
١٢- أُرجوزة في الفرق بين الضاد و الظاء ، لجمال الدين بن مالك : ١١٣ (بحث) مجلة المورد ، مجـ ١٥ ، ع ٣ ، ١٩٨٦م .
١٣- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : ١١٥ .
١٤ - م ن : ١٨٤ .
١٥- م ن .
١٦- شرح الهداية ، للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي : ٢٧١ ، وكتاب الإقناع في القراءات السبع أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد خلف الأنصاري : ١٧٦ .
١٧- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : ١٣٥ .
١٨- أُرجوزة في الفرق بين الضاد والظاء ، لجمال الدين بن مالك : ١٠٤ (بحث) .
١٩- ينظر الموضح في التجويد : ٥١ .
٢٠- سورة البقرة : ٦١ .
٢١- ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي : ١ / ٢٨٥ – ٢٨٦.
٢٢- نسب هذا البيت في المحرر الوجيز إلى : ١٥٣/١ إلى أحيحة بن الجلاح ، ونسبه القرطبي في تفسيره : ١ / ٢٨٩ إلى الأخفش.
٢٣- ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي : ١ / ١٥٣ .
٢٤- ينظر تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ١ / ٢٨٨ .
٢٥- فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب : ٤٧ .
٢٦- المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده : ٧ / ٣٠٧ (ج د ث) .
٢٧- منسوب إلى المتنخل في ديوان الهذليين : ٢ / ١٨ .

٢٨- المحكم والمحيط الاعظم : ٧ / ٣٠٧ – ٣٠٨ (ج د ف) .

٢٩- م ن : ٧ / ٣٤٠ (ج د ف) .

٣٠- شرح عيون كتاب سيبويه ، لأبي نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي المجريطي القرطبي : ١٨٠ .

٣١- المقرب علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور : ٢ / ١٦٤ .

٣٢- ينظر شرح الكافية الشافية الإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ابن محمد بن مالك الطائي الجياني الشافعي : ٢ / ٣٦٧ .

٣٣- شرح الهداية : ٢٦٨ .

٣٤- ينظر الرعاية لتجويد القراءة : ١٢٦ .

٣٥- م ن : ١٣٩ – ١٤٠ .

٣٦- كتاب الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي : ٢ / ٥٢ .

٣٧- ينظر التهذيب بمحكم الترتيب الوزير أبي عامر أحمد بن عبد الملك الأشجعي المعروف بابن شهيد الأندلسي : ٤٦ .

٣٨- كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري : ١٢٤ .

٣٩- آل عمران : ٩٦ .

٤٠- ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية : ٢ / ١٠٧٦ .

٤١- المحكم والمحيط الأعظم : ٦ / ٦٧٤ (م ك ك) .

٤٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١ / ٤٧٤ .

٤٣- تفسير القرطبي : ٤ / ٨٩ .

٤٤- شرح الهداية : ٢٦٨ .

٤٥- كتاب الأمالي : ٢ / ٦٧ – ٦٨ .

٤٦- المقرب : ٢ / ٧ .

٤٧- م ن : ٢ / ٩ .

٤٨- م ن : ٢ / ٩ – ١٠ .

قائمة المصادر و المراجع

ـ القرآن الكريم .

١. الآسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوربية ، د. محمود أحمد نحلة ، د.ط ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٦م .

٢. الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد ، لجمال الدين ابن مالك النحوي (٦٧٢هـ) ، تحقيق وتقديم : حسين تورال ، طه محسن ، د. ط ، مطابع النعمان –النجف الأشرف ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م .

٣. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، لأبي محمد عبد الله محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤- ٥٢١هـ) ، بتحقيق : الأستاذ مصطفى السقا ، د.حامد عبد المجيد ، د. ط ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٩٦م .

٤. الإقناع في القراءات السبع ، تأليف الشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد خلف الأنصاري (ت٥٤٠هـ) ، حققه وعلق عليه : الشيخ أحمد فريد المزيدي ، قدم له وقرضه : د. فتحي عبد الرحمن حجازي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٥. أمثلة الجزولية ، لأبي علي عمر بن محمد بن عمر الشلوبين ، دراسة وتحقيق : د. تركي بن سهو بن نزال العتيبي ، ط ٢ ، دار صادر – بيروت ،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٦. تفسير القرطبي ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، ط ٢ ، دار الكتب العمية بيروت – لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٧. التهذيب بمحكم الترتيب ، تأليف : الوزير أبي عامر أحمد بن عبد الملك الأشجعي المعروف بابن شهيد الأندلسي (٤٢٦هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، ط ١ ، دار البشائر الإسلامية ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

٨. دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية ، د. عبد المقصود محمد عبد المقصود ، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
٩. ديوان الهذليين ، ط ٢ ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٩٥م .
١٠. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها ، وألقابها ، وتغيير معانيها ، وتعليلها ، وبيان الحركات التي تلزمها ، صنعة الإمام العلامة أبي محمد مكي ابن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، تحقيق : د. أحمد حسن فرحات ، ط ٣ ، دار عمان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
١١. شرح عيون كتاب سيبويه ، تأليف : أبي نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي المجريطي القرطبي (ت٤٠١هـ - ١٠١٠م) ، دراسة وتحقيق : د. عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه ، ط ١ ، مطبعة حسان ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٢. شرح الكافية الشافية ، تأليف : الإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ابن محمد بن مالك الطائي الجياني الشافعي ، تحقيق : علي محمد عوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
١٣. شرح الهداية ، للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت٤٤٠هـ) ، تحقيق ودراسة : د. حازم سعيد حيدر ، ط ١ ، دار عمان للنشر والتوزيع ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م .
١٤. الفرق بين الحروف الخمسة ، لابن السيد البطليوسي(٤٤٤هـ - ٥٢١هـ) ، تحقيق : د. علي زوين ، مطبعة العاني ت بغداد ، ١٩٨٥م .
١٥. فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب ، ط ٦ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٦. كتاب الأمالي ، تأليف : أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ، ويليه الذيل والنوادر للمؤلف ، وكتاب التنبيه لأبي عبيد البكري ، وفهارس بأسماء الأعلام والقبائل والأماكن وقوافي الأبيات وغير ذلك ، د. ط ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٧. كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، ويليه : فهرس بأسماء الأعلام ، والقبائل ، والأماكن ، وقوافي الأبيات وغير ذلك ، تأليف : الإمام اللغوي أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، د . ط ، دار الكتب المصرية ، د . ت .
١٨. كتاب الواضح في علم العربية ، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ) ، تحقيق : د. أمين علي السيد ، د. ط ، دارالمعارف بمصر ، ١٩٧٥م .
١٩. اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ، د. سمير شريف استيتية ، ط الثانية ، عالم الكتب الحديث إربد – الأردن ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٢٠. اللسانيات الوظيفية مدخل نظري د. أحمد المتوكل ، ط ٢ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ٢٠١٠م .
٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الثاني محمد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٢. المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده(٤٥٨هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٢٣. المقرب ، تأليف : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(٦٦٩هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الستار الجواري ، عبد الله الجبوري ، ط ١ ، مطبعة العاني – بغداد ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
٢٤. المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، ماري نوال غاري بريور ، ترجمة : عبد القادر فهيم الشيباني ، د.ط ، ٢٠٠٧م .
٢٥. الموضح في التجويد ، تأليف : الشيخ الإمام أبي القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري القرطبي المغربي (٤٦١هـ) ، ضبطه ووضع حواشيه : أحمد فريد المزيدي، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٢٦. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، د. نهاد الموسى ، ط. الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٧. الهداية إلى بلوغ النهاية ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، مجموعة رسائل جامعية قامت بمراجعتها وتدقيقها وتهيئتها للطباعة مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة الشارقة ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

البحوث المنشورة

٤٨- أُرجوزة في الفرق بين الضاد و الظاء ، لجمال الدين بن مالك : ١١٣ (بحث) مجلة المورد ، مجـ ١٥ ، ع ٣ ، ١٩٨٦م .